

دعوة عيسى (عليه السلام) في الكتاب والسنة

إعداد

د. سليمان بن قاسم العيد

جامعة الملك سعود

كلية التربية

قسم الثقافة الإسلامية

مكتبة جامعة الملك سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:-

فإن دراسة سير الأنبياء في الدعوة إلى الله، خير طريق للاقتداء بهم والسير على نهجهم
في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى بالحكمة و الموعظة الحسنة، وبخلاصة أولي العزم من
الرسل⁽¹⁾ (عليهم الصلاة والسلام) الذين من بينهم عيسى ابن مريم (عليه السلام).

ودعوة عيسى (عليه السلام) جديرة بالبحث والدراسة لكونه من أولي العزم من
الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ولما تميز به من بين الرسل أنه يدعو في زمانين مختلفين
ولطائفتين من الناس كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

ولذا أردت في هذا البحث الموجز أن أتطرق لدعوة عيسى (عليه السلام) من خلال
ما ورد عنه في الكتاب والسنة، وقمت بتقسيم البحث إلى أربعة مباحث وفقاً لأركان
الدعوة⁽²⁾، وهي على النحو التالي:-

المبحث الأول: الداعي وهو عيسى (عليه السلام)

وفي هذا المبحث أتحدث عن جوانب هامة من حياة عيسى (عليه السلام) للتعريف
به، ومن ذلك اصطفاء الله لأمه وآل عمران، وكذلك اسمه ونسبه، وولادته، وصفاته،
ورفعه إلى السماء، ونزوله آخر الزمان.

(1) وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم محمد صلى الله عليهم وسلم. (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم
173/4).

(2) (اختلف الباحثون في علم الدعوة حول أركان الدعوة من حيث عددها، وما هيته. فعلى سبيل المثال عددها
الدكتور عبدالحليم محمود ثلاثة وهي: العقيدة، والعبادة، والخلق. (انظر: فقه الدعوة إلى الله 113/1).
دعوة ص 152)،

وعدها سعيد علي القحطاني أربعة هي: الموضوع، الداعي، المدعو، الوسيلة والأسلوب. (انظر:
سعيد القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، 116).

المبحث الثاني: المدعو

وفي هذا المبحث أُعرِّف بمن يدعوهم عيسى (عليه السلام) وهم طائفتان من الناس، أمة عيسى (عليه السلام) وهم بنو إسرائيل، ثم أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) في آخر الزمان، بالحديث عن شيء من صفاتهم وأحوالهم.

المبحث الثالث: موضوع الدعوة

وفي هذا المبحث أتطرق للحديث عن الموضوعات الدعوية التي يدعو إليها عيسى (عليه السلام) مثل: العقيدة، والشرعية، والأخلاق.

المبحث الرابع: الوسيلة والأسلوب

وينقسم الحديث في هذا المبحث إلى قسمين، فالأول منهما يختص بالوسيلة، والثاني يختص بالأسلوب، وأعرض تحت كل قسم ما دلت عليه الأدلة من الوسائل والأساليب التي سلكها عيسى (عليه السلام) في دعوته.

وأما الخطوات التي سلكتها في هذا البحث فهي على النحو التالي:-

مَحَرَّرَ - الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة، والاستفادة من أقوال أهل العلم من المفسرين والمحدثين فيما يتعلق بموضوع البحث.

صَقَّرَ - عزو الآيات إلى مواضعها في القرآن.

رَبَّعُ لَوْ - تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية.

رَبَّعُ ثَانٍ - الاكتفاء بذكر معلومات الطباعة لمراجع البحث في قائمة المراجع في آخر البحث.

جَمَعَ لَطْفًا - عمل قائمة مراجع البحث مرتبة هجائياً، حسب اسم الكتاب.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ...

المبحث الأول: الداعي

المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام)

اصطفاء الله لأم عيسى وآل عمران

إن الله سبحانه وتعالى اصطفى رسله من خلقه، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾⁽³⁾. وعيسى ابن مريم (عليه السلام) ممن اصطفاهم الله سبحانه لرسالته، وهذا الاصطفاء -دون الرسالة- شمل أمه وآل عمران، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾⁽⁴⁾. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾⁽⁵⁾.

كما ذكر المولى في كتابه العزيز ما أنعم به على مريم من نعم، ومن ذلك ما كان من شأنها في ولادتها، وحين كفالتها، حيث يقول سبحانه: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁽⁶⁾.

وتتمثل عناية الله سبحانه وتعالى بمريم في هذه الآيات، بعدة لفظ ور على النحو

التالي:-

مَحَرَّرَ - قبول الله سبحانه وتعالى لها، استجابة لدعوة أمها بقولها ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فقال المولى سبحانه وتعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾.

(3) سورة الحج، الآية 75.

(4) سورة آل عمران، الآية 42.

(5) سورة آل عمران، الآية 33.

(6) سورة آل عمران، الآيات 35-37.

صَقَرٌ - أن الله سبحانه وتعالى أنبتها نباتاً حسناً، والد بات الحسن يشمل الصفات الخلقية والخلقية، فنشأت نشأة دينية كريمة، وقد جعل الله لها شكلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً.⁽⁷⁾

رَبِّعُ ثَلَاثٍ - أن الله سبحانه وتعالى جعل كفالتها بيد نبي من أنبيائه وهو زكريا (عليه السلام)، فكان ذلك من أسباب النشأة الصالحة لها.

رَبِّعُ ثَلَاثٍ - أن الله أعادها وذريتها من الشيطان الرجيم بدعاء أمها لها، وفي هذا يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها» ثم يقول أبو هريرة واقرأوا إن شئتم ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾⁽⁸⁾.

اسمه ونسبه

ذكر الله سبحانه وتعالى اسمه ونسبه في كتابه العزيز ولم يزد نسبه على كونه ابن مريم، في قوله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ لَسْمُةُ الْمَسِيحِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّرِينَ﴾⁽⁹⁾. قال ابن كثير (تَرْبِعُ ثَلَاثَ رَجَبٍ رَجَبًا هـ): «اسمه المسيح عيسى ابن مريم، أي: يكون هكذا مشهوراً في الدنيا، يعرفه المؤمنون بذلك. وسمي المسيح، قال بعض السلف: لكثرة سياحته، وقيل: لأنه كان مسيح القدمين لا أخص لهما، وقيل: لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوي العاهات تبرئ بإذن الله تعالى. وقوله تعالى ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ نسبة إلى أمه حيث لا أب له»⁽¹⁰⁾.

وهذا هو نسبه الحقيقي لا زيادة على ذلك، إلا أن أهل الكتاب زادوا في نسبه، فنسبوه إلى يوسف النجار، زعموا أنه كان خطيباً لأمه، فذكروا نسبه من طريق يوسف النجار، فأوصله صاحب إنجيل متى إلى إبراهيم، وأوصله صاحب إنجيل لوقا إلى آدم عليه السلام.⁽¹¹⁾

(7) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 360/1.

(8) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم 4548.

(9) سورة آل عمران، الآية 45.

(10) تفسير القرآن العظيم 364، 365/1.

(11) انظر: أحمد عبد الوهاب، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، 65.

وقد كذبوا في ذلك، فكيف يمكن معرفة نسب رجل من عامق بني إسرائيل إلى إبراهيم، أو إلى آدم (عليه والسلام)، وإذا سلمنا أنه يمكن معرفة النسب إلى إبراهيم، فكيف يُعرف النسب إلى آدم، وبين آدم وذلك الرجل قرون لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، قال الله سبحانه وتعالى في حكايته عن الأقوام: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (12). قال ابن إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله أنه قال في قوله ﴿ لا يعلمهم إلا الله ﴾: كذب النسابون. وقال عروة بن الزبير (ت 193 هـ) وما وجدنا أحداً يعرف ما بعد معلين عدنان (13).

ولادته

جاءت البشـرى إلى مريم بـعيسى (عليهما السلام) بقوله سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ... ﴾ (14). وحيث أن مريم (عليها السلام) عذراء لم تتزوج، تعجبت كيف يأتيها الغلام فتساءلت ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ﴾ (15) فجاءها الجواب من العلي المقدير للذي لا يعجزه شيء ﴿ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (16).

وفي موضع آخر من القرآن الكريم يأتي تفصيل ذلك الحمل العجيب والولادة على غير مثال سابق من البشر، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا. قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا. قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا. قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا. قَالَ كَذَلِكَ

(12) سورة إبراهيم، الآية 9.

(13) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 527/2.

(14) سورة آل عمران، الآية 45.

(15) سورة آل عمران، الآية 47.

(16) سورة آل عمران، الآية 47.

قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ لَأَمْرًا مَقْضِيًّا. فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا⁽¹⁷⁾. إذا فحمل مريم عليها السلام إنما هو بنفخه فمن روح الله، وذلك حين بعث إليها جبريل (عليه السلام) على صورة بشر فتعوذت منه حين ولته ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ ذلك أن التقي ذو نهيمة. وهذا يرد قول من زعم أنه كان في بني إسرائيل رجل فاسق مشهور بالفسق اسمه تقي⁽¹⁸⁾. فأجلها للملك مطمئناً لها، ومهدتاً لروعها، فأمنت على نفسها حينئذ. وتم لها الحمل بعد أن نفخ الملك في جيب درعها فنزلت النفخة إلى فرجها، فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلمها، ومن قال: إنه نفخ في فمها وأن الذي يخاطبها هو الروح الذي ولج فيها من فمها، فقول خلاف ما يفهم من سياقات هذه القصة في محالها من القرآن، فإن هذا السياق يدل على أن الذي أرسل إليها ملك من الملائكة هو جبريل (عليه السلام)، وقد ورد للخلاف في مدة حملها، والمشهور عند الجمهور أنه تسعة أشهر.⁽¹⁹⁾

وفي أحداث الولادة قال سبحانه وتعالى: ﴿فَاجْأَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا. فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا. وَهَزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا. فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾⁽²⁰⁾ قال ابن كثير: «فاضطرها وألجأها الطلق إلى جذع النخلة في المكان الذي تنحت إليه، وقد اختلفوا فيه... والمشهور أنه بيت لحم الذي تلقاه الناس بعضهم عن بعض ولا يشك فيه النصراني أنه بيت لحم، وقد ورد به الحديث إن صح⁽²¹⁾. وحين أحست بالطلق تمت الموت لأنها عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود، الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد، ولا يصدقونها في خبرها، وبعدها كانت عندهم عابدة ناسكة، تصبح عندهم - فيما يظنون - عاهرة زانية، فقالت: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾. ولكن

(17) سورة مريم، الآيات 16-22.

(18) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 608.

(19) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 116، 117/3. وقصص الأنبياء، ص 610.

(20) سورة مريم، الآيات 23-26.

(21) تفسير القرآن العظيم 117/3.

مَحَرَّجٌ - البركة كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ . فالبركة جعلها الله من تعليم الخير والدعوة إليه، والنهي عن الشر، والدعوة إلى الله في أقواله وأفعاله، فكل من جالسه أو جتمع به نالته بركته، وسعد به مصاحبه. (29)

صَقَرٌ - البر بوالدته، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي حَبْرًا شَقِيًّا﴾ (30). ليس بفظ ولا غليظ، ولا يصدر منه قول ولا فعل ينافي لأمر الله وطاعته. (31)

رَبِّعُونَ - الواجهة في الدنيا والآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (32). أي له واجهة ومكانة عند الله في الدنيا، بما يوحيه الله إليهم من الشريعة، وينزله عليه من الكتاب، وغير ذلك مما منحه الله إياه. وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه أسوة بإخوانه من أولي العزم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. (33)

رَبِّعَانِ - أنه من الصالحين، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ (34) وَمِنَ الصَّالِحِينَ (35) يكلم الناس في للمهداية، ويكلمهم كهلا بالوحي والرسالة. وهو من الصالحين في قوله وعمله له علم صحيح وعمل صالح. (36)

(29) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 103/5.

(30) سورة مريم، الآية 32.

(31) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 616.

(32) سورة آل عمران، الآية 45.

(33) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 365/1.

(34) (الكهل من الرجال : الذي جاوز الثلاثين وخطه الشيب. (الطوهرى ، الصحاح 1813/5 لدة [كهل].

(35) سورة آل عمران، الآية 46.

(36) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 58/4. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم 365/1.

جَعَلَهُمْ - اللين والرحمة، يدل عليه قوله في شأن قومه : ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽³⁷⁾ . ولقد اقتدى به نبينا محمدٌ (صلى الله عليه وسلم) في هذا القول، كما في صحيح البخاري (تَجَلَّاهُ مِنْ صَفَرِهِ) من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «... يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال، فأقول: أصحابي، فيقال: إني لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم: وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم»⁽³⁸⁾.

جَعَلَهُمْ - شدة تعظيم الله سبحانه نه وتعالى في قلبه، وهذا الذي دعاه أن يُصدّق الخالف ويكذب عينه، كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق، فقال له أسرت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو. فقال له عيسى: آمنت بالله - ذبت عيني»⁽³⁹⁾. قال ابن القيم (تَمَحَّضَ مِنْ رَجَبِهِ) : «تأوله بعضهم على أنه لما حلف له جوز أن يكون قد أخذ من ماله، فظنه المسيح سرقة، وهذا تكلف، وإنما كان الله سبحانه وتعالى في قلب المسيح (عليه السلام) أجل وأعظم من أن يحلف به لأحد كاذباً، فلما حلف له السارق دار الأمر بين تهمته، وتهمة بصره، فرد التهمة إلى بصره لما اجتهد له في اليمين، كما ظن آدم (عليه السلام) صدق إبليس لما حلف له بالله عز وجل وقال: ما ظننت أحداً يحلف بالله تعالى كاذباً»⁽⁴⁰⁾.

(37) سورة المائدة، الآية 118.

(38) الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم 3447.

(39) الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم 3444.

(40) إغاثة اللهفان 183/1. وانظر ابن حجر، فتح الباري 489/6.

الصفات الخلقية

لقد بيّن الله سبحانه وتعالى المادة التي خلق منها جسده عيسى ابن مريم (عليه السلام) رداً على من زعم أنه يختلف عن البشر، فزعم بسبب ذلك إلهية، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽⁴¹⁾. فعيسى (عليه السلام) لا يختلف عن بقية البشر في تكوين جسده، وهذا الجسد يحتاج من الأمور ما تحتاجها بقية الأجساد، ولذا قال سبحانه: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾⁽⁴²⁾.

وجاء في السنة المطهرة بعض الصفات التفصيلية لهذا الجسد، فجاءت بوصف شعره ولونه وقامته ونحو ذلك، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلة أسقلي: بِفَنَعَةٍ مَوْقِيَةٍ قال: ولقيت عيسى فنعته النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: رُبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ، يعني الحمام⁽⁴³⁾. والرُبْعَةُ هو متوسط القامة لا طويل ولا قصير⁽⁴⁴⁾.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر»⁽⁴⁵⁾. فصفة الجعودة هنا في الجسم لا في الشعر؛ لأنه ورد وصف الشعر بالسبط، كما في مسند الإمام أحمد (ت مخزن/مجمع/مسنده) عن ابن عباس قال: قال نبي الله (صلى الله عليه وسلم): «ورأيت عيسى ابن مريم عليهما السلام مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس»⁽⁴⁶⁾. السَّبَطُ والسَّبْطُ من الشَّعْرِ المنبسط المُسْتَرَسِل، وهو ضد الجعد⁽⁴⁷⁾، وأما الجعد في الجسم فهو المجتمع الشديد⁽⁴⁸⁾.

(41) سورة آل عمران، الآية 59.

(42) سورة المائدة، الآية 75.

(43) الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم 3437.

(44) انظر: الرازي، مختار الصحاح، 230. وابن حجر، فتح الباري 484/6.

(45) أخرجه البخاري أيضاً، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم 3438.

(46) مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاكر/مجمع/مسنده. وقال المحقق: إسناده صحيح.

(47) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر 334/2. والجوهري، الصحاح 1129/3، مادة [سبط].

وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «...وأراي الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا رجل آدم كأحسن مليري من آدم الرجال، تضرب لِمَتَه بين منكبيه، رَجَلِ الشعر، يقطر رأسه ماء، واضعاً يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت. فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح ابن مريم»⁽⁴⁹⁾. فهذا الحديث فيه وصف اللون بانه آدم وهو الأسمر، وقد ورد في الحديث السابق أنه أحمر، والأحمر عند العرب الشديد البياض مع الحمرة، ويمكن الجمع بين الوصفين أنه احمرّ لونه بسبب، كالتعب، وهو في الأصل أسمر، والله أعلم⁽⁵⁰⁾.

وفي صحيح مسلم (تَمْحَرَّ جِلْدُ ابْنِ صَدْرٍ هـ) من حديث ابن عمر أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال في وصف عيسى: «... يسكب رأسه أو يقطر رأسه»⁽⁵¹⁾.

كما جاء في الحديث وصف لِمَتِه وهي شعر راسه، ويقال للشعر إذا جاوز شحمة الأذنين لمة⁽⁵²⁾. كما جاء وصفه بأنه (رَجَلِ الشَّعْرِ) قال ابن حجر (تَمْحَرَّ جِلْدُ ابْنِ صَدْرٍ هـ): «أي قد سرحه ودهنه، وفي رواية مالك "لَهُ لِمَةٌ كأحسن قلأنت راء من اللهم، قد رجلها فهي تقطر ماءً"⁽⁵³⁾».

ويحتمل أنها تقطر من الماء الذي سرحها به، أو أن المراد الاستنارة، وكفى بذلك عن مزيد النظافة والنضارة⁽⁵⁴⁾.

وفي مسند أبي يعلى (تَرْجَبَ شَوْلَاكُ رَجْعُ لَوْكٍ هـ) عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال في وصف عيسى في حديث الإسراء: «ورأيت عيسى شاباً

(48) انظر: ابن منظور، لسان العرب 122/3 ، مادة [جعد]. وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث 275/1.

وابن حجر، فتح الباري 486/6.

(49) الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم 3440.

(50) انظر: ابن حجر، فتح الباري 486/6.

(51) كتاب الإيمان، حديث رقم 169.

(52) الجوهرى، الصحاح 2032/5 ، مادة [لم].

(53) الموطأ ، كتاب الجامع، حديث رقم 1665.

(54) ابن حجر، فتح الباري 486/6.

أبيض، جعد الرأس، حديد البصر، مبطن الخلق»⁽⁵⁵⁾. وجاء في مسند الإمام أحمد وصف شيء من لباسه، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال في وصف عيسى (رضي الله عنه) عند نزوله: « عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل»⁽⁵⁶⁾. والممصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة.⁽⁵⁷⁾

وورد تشبيه الصحابي عروة بن مسعود⁽⁵⁸⁾ (رضي الله عنه) بعيسى (عليه السلام)، لما في صحيح مسلم عن جابر (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «ورأيت عيسى ابن مريم (عليه السلام) فإذا أقرب من رأيت به شبه أعروقين مسعود»⁽⁵⁹⁾.

من تلك النصوص نخلص إلى أن ما ورد من صفاته الجسدية تتمثل في ما يلي:-
مُخَرَّمٌ - أن جسد عيسى خلق من التراب، وأنه يحتاج إلى ما تحتاج إليه بقية أجساد البشر كالمأكل والمشرب ونحوه.
صَفَرٌ - أن شعره سبط مسترسل قد تعدى شحمة أذنه، وأن له لمعانا.
رَبِيعٌ لَوْنٌ - أنه معتدل القامة لا بالطويل ولا بالقصير.
رَبِيعٌ بَنَانٌ - أن جسمه مجتمع الخلق قوي البنية.
جَلِيلٌ لَوْنٌ - أن لونه من أحسن الناس لونا.
جَلِيلٌ لَوْنٌ - يكون عليه حين نزوله ثوبان فيهما صفرة خفيفة.

(55) مسند أبي يعلى ج ١٠ ص ١٠٠ / م ١٠٠ رقم ١٠٠ وقال الشيخ حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

(56) المسند 406/2.

(57) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ج ١ ص ١٠٠ / م ١٠٠ وانظر: ابن منظور، لسان العرب 177/5، مادة [مصر].

(58) ابن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو الثقفي، كان أحد الأكابر من قومه، لما أسلم ذهب إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فلما أظهر دينه ودعاهم إلى الله قتلوه. ج ١ ص ١٠٠ الإصابة في تمييز الصحابة 477، 478/2.

(59) كتاب الإيمان، حديث رقم 167.

رَجَبٍ - أن أقرب الناس به شبهاً هو الصحابي الجليل عروة بن مسعود الثقفي (رضي الله عنه).

شَعْبَان - أنه شاب، وقد رفع إلى السماء وعمره ثلاث وثلاثون سنة.

رفعه إلى السماء

لما تأمر أعداء الله من اليهود على قتل عيسى (عليه السلام) والخلاص منه ومن دعوته، نجاه الله سبحانه وتعالى منهم ورد كيدهم في نحورهم فرفعه إليه حياً ببدنه وروحه، ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَتَوَفَّيْنِي بِرُوحٍ قُدُّوسٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَتَقَبَّلْهُ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (مائدة: 110). وقد اختلف العلماء بالمقصود بـ(متوفيك) في هذه الآية، فذكر ابن جرير (ت ٥٠٦هـ) أن (متوفيك) أي قبضك من الأرض، فرفعتك إلي، قالوا: ومعنى الوفاة: القبض، لما يقال: توفيت من فلان ما لي عليه، بمعنى: قبضته واستوفيته. قالوا: فمعنى قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ أي قبضك من الأرض حياً إلى جوارحي، وأخذك إلى ما عندي بغير موت، ورافعتك من بين المشركين وأهل الكفر بك. وقال آخرون: معنى ذلك: إني متوفيك وفاة موت.

وقال آخرون: معنى ذلك: إذ قال الله يا عيسى، إني رافعتك إلي، ومطهر لك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد إنزالي إياك إلى الدنيا. وقال: هذا من المقدم الذي معناه للتأخير، والمؤخر الذي معناه التقديم.

ثم قال بعد أن ساق هذه الأقوال وأدلتها: وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك إلي، لتواتر الأخبار عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال" ثم يمكث في الأرض مدة ذكرها اختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت، فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه.⁽⁶¹⁾

وما دبره اليهود من القتل والصلب وقع على شبيهه له، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾⁽⁶²⁾. ذكر ابن جرير فيمن ألقى عليه الشبه قولين، ١ لأول: أن الشبه ألقى على جميع أصحابه. الثاني: أن الشبه ألقى على رجل من أصحابه حين سألهم ذلك. واختار ابن جرير الأول.⁽⁶³⁾

وأضاف ابن الجوزي (ت رَجَبُ رَمَضَانَ ١٠٠٠ هـ) قولاً ثالثاً، وهو أن الذي ألقى عليه الشبه بعض من أراد قتله من اليهود.⁽⁶⁴⁾

وأما في سنه حين رفعه الله إليه فقد كان ثلاثاً وثلاثين سنة، لما في مستدرك الحاكم (ت رَجَبُ رَمَضَانَ ١٠٠٠ هـ) عن سعيد بن المسيب قال: «رفع عيسى ابن مريم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ومات معاذ بن جبل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة رضي الله تعالى عنه»⁽⁶⁵⁾.

نزوله في آخر الزمان

علمنا مما سبق أن الله سبحانه وتعالى رفع عيسى (عليه السلام) ببدنه وروحه، وسينزل في آخر الزمان ببدنه وروحه، لقد ورد في القرآن الكريم الإشارة إلى هذا النزول

(61) انظر: جامع البيان 289/3-291. وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 64/4، 65. ولبن تيمية، مجموع الفتاوى 322، 323/4.

(62) سورة النساء، الآيتان، 157، 158.

(63) انظر: جامع البيان 12/6-14.

(64) انظر: زاد المسير 244/2.

(65) المستدرك 269/3. وسكت عنه الذهبي.

حسب أقوال المفسرين، ففي قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾⁽⁶⁶⁾. قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي وقتادة: إنه خروج عيسى عليه السلام، وذلك من أعلام الساعة. لأن الله ينزله من السماء قبيل قيام الساعة، كما أن خروج الدجال من أعلام الساعة.⁽⁶⁷⁾

وفي قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾⁽⁶⁸⁾. قال ابن جرير: «يعني قبل موت عيسى، يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال، فتصير الملل كلها واحدة، وهي ملة الإسلام الحنيفة، دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم»⁽⁶⁹⁾.

وأما في السنة فقد تواترت الأحاديث على نزول عيسى في آخر الزمان⁽⁷⁰⁾ كما دلت على ذلك السنة، لما في صحيح البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) يقول قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم، حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»⁽⁷¹⁾.

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاثلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى ابن مريم (صلى الله عليه وسلم) فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة»⁽⁷²⁾.

(66) سورة الزخرف، الآية 61.

(67) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 70/16. وانظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 133، 134/4.

(68) سورة النساء، الآية 159.

(69) جامع البيان 18، 21/6. وقد ذكر ابن جرير أقوالاً أخرى، وهذا القول هو اختياره.

(70) انظر أقوال أهل العلم في تواتر الأحاديث في هذه المسألة عند الكشميري، التصريح بعلتواتر فينزول

المسيح، تحقيق ومراجعة وتعليق عبدالفتاح أبو غدة، ص 56 وما بعدها.

(71) الجامع الصحيح، كتاب البيوع، حديث رقم 2222.

(72) كتاب الإيمان، حديث رقم 156.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»⁽⁷³⁾.

وما يكون في هذا النزول من كسر الصليب، وقتل الخنزير، ووضع الجزية، وقتل الدجال سيأتي الحديث عنه في المبحث الرابع إن شاء الله تعالى.

الحكمة من نزوله

إن ما اختص الله به عيسى ابن مريم (عليه السلام) دون سائر الأنبياء نزوله إلى الدنيا في آخر الزمان، ومباشرته مهام الدعوة مرة ثانية، ولكن ترى ما الحكمة من هذا النزول؟ لقد حاول بعض العلماء معرفة ذلك، ومما قالوه في هذا الشأن مايلي:-

- مَحَرَّمٌ - الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فيين تعالى كذبهم، وأنه الذي يقتلهم.
- صَقْرٌ - نزوله لدنو أجله ليُدفن في الأرض إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها.
- رَبِّعُ لَوْلَ - أنه دعا الله لما رأى صفة محمد وأتمته أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه ولُبقاه حتى ينزل في آخر الزمان مجدداً لأمر الإسلام فيوافق خروج الدجال فيقتله.
- رَبِّعُ لَوْلَ - تكذيبه لكل من ادعى إلهيته أو بنوته لله تعالى.

بِحَقِّ الْكَلْبِ - إبطال الغلو الذي تمادى فيه أهل الكتاب، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿يَلْلَهُلَ الْكِتَابِ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾⁽⁷⁴⁾.

وبعد أن ذكر ابن حجر الأقوال الثلاثة الأولى قال: «والأول أوجه»⁽⁷⁵⁾.

(73) الجامع الصحيح، كتاب المظالم والغصب، حديث رقم 2476.

(74) سورة النساء، الآية 171.

(75) فتح الباري 493/6. وانظر: يوسف الوابل، أشراط الساعة ص 355-357.

يعود إلى الأرض ثانية، ص 171-173.

مدة بقاءه في الأرض بعد نزوله

وأما ما يتعلق في مدة بقاءه في الأرض بعد النزول فقد روي مسلم من حديث —
عمر (رضي الله عنهما) في مدة بقاء عيسى في الأرض بعد نزوله، أنها سبع سنين⁽⁷⁶⁾.
وروي نعيم بن حماد (تَشْعَبَانِ مَحْزَرُهُ) في كتاب الفتن من حديث ابن عباس (رضي الله
عنهما) أن عيسى (عليه السلام) إذ ذاك يتزوج في الأرض، ويقيم بها تسع عشرة سنة،
وبإسناد فيه مبهم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) يقيم بها أربعين سنة.⁽⁷⁷⁾

(76) ورد ذلك في حديث طويل في كتاب الفتن وأشراط الساعة، حديث رقم 2940.

(77) ابن حجر، فتح الباري 493/6.

المبحث الثاني: المدعو

المدعو مفرد، والجمع مدعوون، وهم القوم الذين يدعوهم عيسى (عليه السلام).
ومما تميزت به دعوة عيسى ابن مريم (عليه السلام) أنه دعا أمتين مختلفتين، في زمانين مختلفين، فأصبح المدعوون له صنفين:-

الصنف الأول: بنو إسرائيل

فدعوته في بادئ الأمر لأمته من بني إسرائيل كما دل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾⁽⁷⁸⁾. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾⁽⁷⁹⁾.

وهذه الأمة قد ذكر الله سبحانه وتعالى عنهم، وذكر رسوله (صلى الله عليه وسلم) شيئاً كثيراً من صفاتهم، وما هم عليهم من تكذيب لله وتحريف للكتب وقتل للأنبياء، وعناد لله ورسوله مما يحتاج إلى التعامل معهم في دعوتهم بما هم أهله.

ففي كفرهم بالله ولبسهم الحق بالباطل وكتمان الحق، قال عنهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ. يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁽⁸⁰⁾.

وفي جرأتهم على الله سبحانه وتعالى قال عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَئًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا لَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾⁽⁸¹⁾.

وفي نكثهم للعهد، وإخلافهم للوعد، قال الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿أَلَمْ تَرِ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا يُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(78) سور آل عمران، الآية 49.

(79) سورة الصف، الآية 6.

(80) سورة آل عمران، الآيتان 70، 71.

(81) سورة المائدة، الآية 64.

قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِمَا كُفَرْتُمْ بِالظَّالِمِينَ ﴿٨٢﴾.

وفي تحريفهم لكلام الله تعالى قال عنهم: ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْسِتِّهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (83).

وفي تكذيبهم لبعض الرسل وقتلهم لبعض الآخر قال عنهم: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَآرَأَ سَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ (84).

وفي عصيانهم واعتدائهم على حرمان الله لعنهم قائلًا: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (85).

وفي اتهامهم لعيسى بالسحر قال الله عنهم: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِمْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (86).

ولا يعني ذلك أن جميع أهل الكتاب أو أن جميع بني إسرائيل هم كذلك، بل فيهم الصالحون، وفيهم أتباع الأنبياء المتقون، وذلك في وقت شرعية دينهم، وإلى هذا الصنف أشار الله سبحانه وتعالى إليهم بقوله: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَلَأُورِلَ

(82) سورة البقرة، الآية 246.

(83) سورة النساء، الآية 46.

(84) سورة المائدة، الآية 70.

(85) سورة المائدة، الآية 78.

(86) سورة الصف، الآية 6.

إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٨٧﴾.

وجاء في السنة المطهرة الكثير من صفاتهم⁽⁸⁸⁾ ، فعلى سبيل المثال عن شركهم بالله جاء في صحيح البخاري أن عائشة وعبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) قالوا: للمنزل برسول الله (صلى الله عليه وسلم) طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: « لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا »⁽⁸⁹⁾.

وفي تبديلهم كلام الله جاء في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): « قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا: حطة. فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاهمهم، وقالوا: حبة في شعرة »⁽⁹⁰⁾.

وفي تحايلهم على المحرمات ورد في الصحيحين عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: « قاتل الله اليهود، حرّم الله عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها »⁽⁹¹⁾.

وفي قلة حيائهم جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: « كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى (صلى الله عليه وسلم) يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه أدر⁽⁹²⁾ ، فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه، فخرج

(87) سورة آل عمران، الآية 199.

(88) انظر: د. الشقاري، اليهود في السنة المطهرة 465/2-542.

(89) الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، حديث رقم 436.

(90) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم 3403

حديث رقم 3015. واللفظ للبخاري.

(91) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب البيوع، حديث رقم 2236

رقم 1583. واللفظ لمسلم.

(92) الأدرّة: نفخة في الخصية، يقال: رجل أدر بين الأدرّة. (الجوهري، الصحاح 577/2 مادة [أدر]).

موسى في إثره يقول: ثوبي يا حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى، فقالوا: والله، ما بموسى من بأس. وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً. فقال أبو هريرة: والله، إنه لندب بالحجر ستة أو سبعة ضرباً بالحجر»⁽⁹³⁾.

ولا شك أن قوماً تلك أخلاقهم وطباعهم سيلاقي منهم نبيهم التكذيب والإعراض والإيذاء، فكانت كذلك حالهم مع المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام)، حتى وصل بهم الأمر إلى محاولة قتله والخلاص منه، فنجاه الله منهم برفعه إلى السماء حياً. ويحدثنا ابن كثير عن قوم عيسى بعد رفعه قائلاً:

من آمن بما بعثه الله به على أنه عبدالله ورسوله وا بن أمته، ومنهم من غلا فيه فجعلهم ابن الله،

رآن، ورداً

ان

لا

يقال له: قسطنطين، فدخل في دين النصرانية

منه. إلا أنه بدل لهم دين المسيح وحرفه وزاد فيه ونقص منه، ووضعته للقوانين والأهملنة الكبرى⁽⁹⁴⁾

الكنائس والمعابد والصوامع، وزاد في صيامهم عشرة أيام من أجل ذنب ارتكبه فيما يزعمون، وصار دين المسيح دين قسطنطين.⁽⁹⁵⁾

وفي موقف أهل الكتاب من عيسى (عليه السلام) ورد في مسند أبي يعلى عن علي (رضي الله عنه) قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «فيك مثل من عيسى ابن مريم؛ أبغضته يهود حتى بهتوا أمه، وأحبته نصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس به، قال:

(93) الجامع الصحيح، كتاب الغسل، حديث رقم 278.

(94) الأمانة جملة من الكلام اخترعوه، يجمع أصول عقيدتهم، ولا تتم لأحد منهم نصرانية إلا به، وقد صرحوا فيه

بأن المسيح رب، وأنه ابن الله وأ

في

الجوهر، إلى غير ذلك من المعتقد الباطل. (انظر: ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل 118/1

ن

القيم، هداية الحيارى، ص 488، 489).

(95) تفسير القرآن العظيم 367/1.

ثم قال علي: يهلك فيّ رجلان، محب مطر يفرط لي بما ليس فيّ، ومبغض مفتر يحمل شتائي على أن يبهتني»⁽⁹⁶⁾.

الصنف الثاني: أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) آخر الزمان

يدل على دعوته في آخر الزمان لأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) ما ورد في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة » قال: فينزل عيسى ابن مريم (صلى الله عليه وسلم) فيقول أميرهم: تعال صل لنا. فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة»⁽⁹⁷⁾.

وقد وردت كثير من النصوص الشرعية في وصف الناس في ذلك الوقت، ومن هذه النصوص ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): « يخرج الدجال في أمتي، فيمكث أربعين - لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً - فيبعث الله عيسى ابن مريم، كأنه عروقتين مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه » قال: سمعتها من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا. فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتها»⁽⁹⁸⁾ ورفع ليتها، قال: وأول من

(96) مسند أبي يعلى 406/1، حديث رقم 534. والإمام أحمد في فضائل الصحابة 575/2، حديث رقم 974. واللفظ لأبي يعلى.

(97) كتاب الإيمان، حديث رقم 156.

(98) اللبّ بالكسر: صفحة العنق. (الجوهري، الصحاح 265/1، مادة [ليت]).

يسمعه رجل يلوط⁽⁹⁹⁾ حوض إبله قال: فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال: ينزل الله مطراً كأنه الطل أو الظل -نعمان الشاك- فتنبت منه أجساد الناس...»⁽¹⁰⁰⁾.

فدل هذا الحديث على خروج المسيح الدجال قبل عيسى (عليه السلام)، فهو يفتن الناس ويدعوهم إلى الكفر بالله ومعه من الخوارق المعجزات ما قدره الله عليها، ولا يترك بلداً إلا دخله، إلا مكة والمدينة، ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يجرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق»⁽¹⁰¹⁾.

ومما يأتي به ليفتن الناس ما ورد في صحيح البخاري عن حذيفة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال في الدجال: «إن معه ماءً وناراً فناره ماء بارد وماؤه نار»⁽¹⁰²⁾.

وفي صحيح مسلم قال النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الدجال: «فدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى، وأسبغه ضروعاً، وأمدّه خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصيحون محلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتنبعه كنوزها كيحاسب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلاً شاباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعو فيقبل ويتهلل وجهه يضحك...»⁽¹⁰³⁾.

(99) بمعنى يطين ويصلح. (الجهري، الصحاح 1158/3 مادة [لوط] . [والنووي، شرح صحيح مسلم 76/18].

(100) كتاب أشراط الساعة، حديث رقم 2940.

(101) الجامع الصحيح، كتاب الحج، حديث رقم 1881.

(102) الجامع الصحيح، كتاب الفتن، حديث رقم 7130.

(103) كتاب الفتن، حديث رقم 2937.

ومما يذكر من حال الناس في آخر الزمان امتلاء الأرض بالظلم والجور، لما في مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «تَمَلَأُ الأرض ظلماً وجوراً ثم يخرج رجل من عترتي يملك سبعا أو تسعاً فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً»⁽¹⁰⁴⁾. وهذا الذي يملؤها قسطاً وعدلاً هو المهدي الذي يكون في الناس حين نزول عيسى ابن مريم، لما في الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»⁽¹⁰⁵⁾.

قال ابن حجر: «قال أبو الحسن الحسيني الآبدي (تَرْجَمَةُ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ) في مناقب الشافعي (تَرْجَمَةُ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ) هـ): تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة، وأن عيسى يصلي خلفه»⁽¹⁰⁶⁾.

(104) المسند 28/3.

(105) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء 3449.

155. واللفظ لهما.

(106) فتح الباري 493، 494/6.

المبحث الثالث: الموضوع

العقيدة

إن أبرز موضوعات العقيدة التي جاء بها الأنبياء لدعوة أقوامهم، الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾⁽¹⁰⁷⁾. وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾⁽¹⁰⁸⁾.

وبهذا جاء عيسى (عليه السلام) يدعو قومه كما أخبر عنه المولى سبحانه بقوله: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾⁽¹⁰⁹⁾.

وفي هذا الجانب أيضاً جاءت السنة تدل على دعوة عيسى (عليه السلام)، فعن الحارث الأشعري أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل يعملون بهن، وإن عيسى ابن مريم قال له: إن الله أمرك بخمس كلمات تعمل بهن وتأمر بهن بني إسرائيل يعملون بهن، فإذا أنتأمرهم وإما أن آمرهم. قال: إنك إن تسبقني بهن خشيت أن أعذب، أو يخسف بي. قال: فجمع الناس في بيت المقدس حتى امتلأ، وقعد الناس على الشرفات، قال: فوعظهم، قال: إن الله أمرني بخمس كلمات أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن، أولاهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق، قال هذه داري، وهذا عملي، فاعمل وأدِّ إليَّ. فجعل يعمل ويؤدي إلى غير سيده. فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك، وإن الله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئاً... الحديث»⁽¹¹⁰⁾.

(107) سورة النحل، الآية 36.

(108) سورة الأنبياء، الآية 25.

(109) سورة المائدة، الآية 72.

(110) أخرجه الإمام أحمد في مسنده 130/4. وأبو يعلى في مسنده 140، 141/3 رقم 1571

الكتاب الشيخ حسين سليم أسد: إسناده صحيح. والطبراني في المعجم الكبير 285/3 رقم 3427

داود الطيالسي في مسنده، 159 رقم 1161. وابن حبان في صحيحه 123/14 وقال محقق الكتاب

شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

وفي جانب العقيدة أيضاً جاء بيان حقيقة نفسه له رداً على من زعم له الإلهية، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَلِقَائِي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾⁽¹¹¹⁾.

وجاء بالرد عليهم في زعمهم أنه ابن الله، كما أخبر الله عنه بقوله سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِهَيْبَتِنَا وَقَدْ عَلِمْتَهُ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾⁽¹¹²⁾. وكان رد عيسى (عليه السلام) لهذا الاعتقاد منهم بأول كلام تكلم به في المهد ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾⁽¹¹³⁾. فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله سبحانه وتعالى، وهذه حقيقة، وفيه رد على من غلا فيه، فقال: هو الله، أو هو ابن الله.

وجاء (عليه السلام) بالتبشير بالنبي الذي يأتي من بعده، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾⁽¹¹⁴⁾. والتبشير به يتضمن الدعوة إلى الإيمان به وبما جاء به. فهي دعوة للنصارى الذين يدركون محمداً (عليه الصلاة والسلام) ليسلموا ولا يبقوا على نصرانيتهم.

وفي سنن أبي داود (رحمته الله) (هـ) عن أبي بردة عن أبيه قال أمينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن ننطلق إلى أرض النجاشي فذكر حديثه قال النجاشي: «لشهد أنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه»⁽¹¹⁵⁾.

(111) سورة المائدة، الآية 116.

(112) سورة التوبة، الآية 30.

(113) سورة مريم، الآية 30.

(114) سورة الصف، الآية 6.

(115) كتاب الجنائز، حديث رقم 3205.

الشريعة

جاء عيسى (عليه السلام) مقررًا لشريعة موسى في التوراة، مع ما جاءه في الإنجيل، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁽¹¹⁶⁾.

ومع إقراره ما جاء به موسى من قبل في التوراة، إلا أنه جاء بتخفيف شيء من ذلك، كما في قوله سبحانه: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾⁽¹¹⁷⁾ فيقول ابن كثير: «—ه دلالة على أن عيسى (عليه السلام) نسخ بعض شريعة التوراة وهو الصحيح من القولين، ومن العلماء من قال: لم ينسخ منها شيئاً، وإنما أحل لهم بعض ما كانوا يتنازعون فيه خطأ»⁽¹¹⁸⁾.

وكان عيسى (عليه السلام) يدعو إلى الصلاة والصيام والصدقة والذكر ونحو ذلك من العبادات، ففي حديث الحارث الأشعري الذي مر طرف منه قال: «وأمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا. وأمركم بالصيام، وإن مثل ذلك كمثل رجل كانت معه صرة فيها مسك ومعه عصاة كلهم يعجبه أن يجد ريحها، وإن الصيام أطيب عند الله من ريح المسك. وأمركم بالصدقة، وإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو وقاموا إليه فأوثقوا يده إلى عنقه، فقال: هل لكم أن أفدي نفسي منكم؟ قال: فجعل يعطيهم القليل والكثير ليفك نفسه منهم. وأمركم بذكر الله كثيراً، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في إثره حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه فيه، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله...»⁽¹¹⁹⁾.

(116) سورة المائدة، الآية 46.

(117) سورة آل عمران، الآية 50.

(118) تفسير القرآن العظيم 366/1.

(119) سبق تخريجه ص 26.

ومما يجب التنبيه له هنا هو أن موضوع دعوة عيسى (عليه السلام) في آخر الزمان هو موضوع دعوة محمد (صلى الله عليه وسلم)، فإن عيسى آخر الزمان يحكم بشريعة محمد (صلى الله عليه وسلم) فلا ينسخ منها شيئاً. فإن قيل كيف يضع عيسى الجزية، كما ورد عند البخاري «ويضع الجزية»⁽¹²⁰⁾ والجزية مقررة في شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، أليس هذا بمعنى النسخ؟

يجيب عن هذا ابن حجر قائلًا:

ومعنى وضع عيسى الجزية مع أنها مشروعة في هذه الشريعة أن مشروعيته مقيدة بنزول عيسى، لما دل عليه هذا الخبر، وليس عيسى بناسخ لحكم الجزية بل نبينا (صلى الله عليه وسلم) هو الملبى للنسخ بقوله هذا، قال ابن بطلان: وإنما قبلناها قبل نزول عيسى للحاجة إلى المال، بخلاف نعم عيسى فإنه لا يحتاج فيه إلى المال؛ فإن المال في زمنه يكثر حتى لا يقبله أحد. ويحتمل أن يقال: إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتمان، وتعلقهم بشرع عيسى بزعمتهم، فإذا نزل عيسى (عليه السلام) زالت الشبهة بحصول معاينته، فيصرون كعبدة الأوثان في انقطاع حجتهم، وانكشاف أمرهم، فناسب أن يعاملوا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم. هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالاً، والله أعلم⁽¹²¹⁾.

وعلى هذا فإن عيسى (عليه السلام) يدعو في آخر الزمان إلى الإسلام، فلا يهودية ولا نصرانية في ذلك الوقت، وموضوع الدعوة عنده في ذلك الوقت هو دعوة الإسلام، وفي هذا ورد في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «يوشك المسيح عيسى ابن مريم أن ينزل حكماً قسطاً وإماماً عادلاً فيقتل الخنزير ويكسر الصليب وتكون الدعوة واحدة»⁽¹²²⁾.

الآداب والأخلاق

ومن الموضوعات الدعوية التي دعا إليها عيسى (عليه السلام) قومه الآداب والأخلاق، ومن ذلك ما ورد في المعجم الكبير الطبراني (تَشْرَافُ الْمَرْءُ بِمَنْعِ أَوَّلِهِ) (هـ) عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أن عيسى ابن مريم (عليه

(120) سبق الحديث وتخرجه ص 16 .

(121) فتح الباري 491، 492/6. وانظر: النووي في شرح صحيح مسلم 190/2.

(122) المسند 394/2.

السلام) قال: « إنما الأمور ثلاثة: أمر يتبين لك رشدك فاتبعه، وأمر يتبين لك غيه فاجتنبه، وأمر اختلف فيه فردّه إلى عالمه»⁽¹²³⁾.

وجاء من الآداب التي دعا إليها عيسى (عليه السلام) الدّعاء الذي يقال عند الدين، لما في مستدرك الحاكم عن عائشة (رضي الله تعالى عنها) قالت: دخل علي أبو بكر فقال هل سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دعاء علمنيه؟ قلت ما هو؟ قال: كان عيسى ابن مريم يعلمه أصحابه قال: «لو كان على أحدكم جبل ذهب دينا فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه اللهم فارح اللهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني فارحمي برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك»⁽¹²⁴⁾.

ومن الآداب التي كان يدعو إليها عيسى (عليه السلام) أدب بذل العلم، ففي سنن الدارمي (تجويد الحديث) عن معاوية أن أبا فروة حدثه أن عيسى ابن مريم كان يقول: « لا تمنع العلم من أهله فتأثم، ولا تنشره عند غير أهله فتجهل، وكن طبيباً رقيقاً يضع دواءه حيث يعلم أنه ينفع»⁽¹²⁵⁾.

كما ذكر ابن كثير جملة من الحكم والآداب التي كان يدعو إليها (عليه السلام)⁽¹²⁶⁾، فمن ذلك ما رواه عبد الله بن المبارك عن سفيان بن عيينة عن خلف بن حوشب قال: قال عيسى للحواريين: «كما ترك لكم الملوك الحكمة فكذلك فاتركوا لهم الدنيا»⁽¹²⁷⁾.

(123) المعجم الكبير للطبراني 386/10، حديث رقم 10774 . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 157/1: ورجاله موثقون.

(124) المستدرك 515/1.

(125) سنن الدارمي، مراجعة فواز أحمد زمرلي وخالد السبع 117/1، حديث رقم 379.

(126) انظر: قصص الأنبياء، ص 649-657.

(127) المرجع السابق، ص 652.

ومنها ما قاله ابن وهب عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال كان عيسى يقول: « اعبروا الدنيا ولا تعمروها. وكما ان يقول: حب الدنيا رأس كل خطيئة والنظر يزرع في القلب الشهوة»⁽¹²⁸⁾.

وقال سفيان الثوري (تَمْحَرُّوا لِلْعَالَمِ مُحَرَّمٌ هـ): قال عيسى ابن مريم: «لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة في قلب مؤمن، كما لا يستقيم الماء والنار في إناء»⁽¹²⁹⁾.

وقال أبو مصعب عن مالك: قال عيسى ابن مريم (عليه السلام): « لا تكثروا الحديث بغير ذكر الله، فتفسو قلوبكم؛ فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب، وانظروا فيها كأنكم عبيد فإنما الناس رحلان معافى ومبتلى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية»⁽¹³⁰⁾.

(128) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(129) المرجع السابق، ص 653.

(130) المرجع السابق، 654.

المبحث الرابع: الوسيلة والأسلوب

أولاً: الوسيلة

الوسيلة في الأصل: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوكيل والوسائل. والواصل هو الراغب. (131)

والوسيلة في الدعوة هي الطريقة التي يسلكها الداعية في تبليغ الدعوة إلى المدعويين، أو إزالة عوائقها. (132)

ومن الوسائل التي سلكها عيسى (عليه السلام) في دعوته، ما يلي:-

الدعوة بالقدوة

لقد جعل الله سبحانه وتعالى رسله عليهم الصلاة والسلام قدوة لمدعويهم، بما أعطاهم من صلاح القول والعمل، وحسن الخلق، فإن الله لما ذكر في كتابه جملة من الأنبياء ذكر أنهم أئمة لغيرهم، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَلِيدِينَ ﴾ (133). أي رؤساء يقتدى بهم في الخير.

ومما يدل على مكانة القدوة وأهميتها في الدعوة إلى الله فقد أمر نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) على ما هو عليه من إكمال العبودية لله سبحانه وتعالى أن يقتدي بمن سبقه من الأنبياء، ومنهم عيسى ابن مريم (عليه السلام) حين قال سبحانه بعد ذكره لجملة من الأنبياء: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا

(131) الجوهري، الصحاح، 1841/5، مادة [وسل].

(132) انظر: سعيد القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، ص 126

الدعوة إلى الله 215/1. ومحمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص 48. ومحمد عبدالقادر أبو فارس، أسس في الدعوة ووسائل نشرها، ص 80.

(133) سورة الأنبياء، الآية 73.

ذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ»⁽¹³⁴⁾. قال ابن كثير: « وإذا كان هذا أمراً للرسول صلى الله عليه وسلم فأمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به»⁽¹³⁵⁾.

ولقد أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في موضع آخر بالافتداء بعيسى (عليه السلام) مع إخوانه من أولي العزم من الرسل، حين قال عنهم المولى سبحانه وتعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾⁽¹³⁶⁾. قال ابن كثير: « قال تبارك وتعالى لأمراً رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على تكذيب فلصير ككبهما من قومهم: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي على تكذيب قومهم لهم. وقد اختلفوا في تعداد أولي للعزم على أقوال، وأشهرها: أنهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم محمد صلى الله عليه وسلم»⁽¹³⁷⁾.

وإذا كان عيسى (عليه السلام) قدوة لمحمد (صلى الله عليه وسلم) فإن قوم عيسى من مدعويه أحوج إلى هذا الاقتداء لما فيهم من النقص والتقصير في طاعة المولى سبحانه وتعالى، ومما يؤكد هذا الاقتداء بعيسى (عليه السلام) ما جبله الله عليهم من الفضائل ومكارم الأخلاق، التي مرت بنا عند الحديث عن صفاته، وقد وصفه ربه بلنعم من الصالحين، والصلاح كل ما يصدر عنه من قول أو فعل. ومن اتصفت أقواله وأعماله بالصلاح، كان قدوة حسنة لمدعويه.

الدعوة بالدليل والبرهان

من سنن الله سبحانه أن أيد رسله بالدلائل القاطعة، والبراهين الساطعة، التي تكون سبباً في استجابة أقوامهم لهم، ولقد أيد الله سبحانه وتعالى رسوله عيسى (عليه السلام) بجملة من الآيات البينات كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالدَّتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي

(134) سورة الأنعام، الآية 90.

(135) تفسير القرآن العظيم 156/2.

(136) سورة الأحقاف، الآية 35.

(137) تفسير القرآن العظيم 173/4.

فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ﴿١٣٨﴾.

وكان عيسى (عليه السلام) عند دعوة قومه إلى الله يُذَكِّرهم بما معهم هذه الآيات، كما قال عنه المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَٰءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩).

ومن آياته المائدة التي أخبر الله سبحانه وتعالى عنها بقوله: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (١٤٠).

والآيات المذكورة في هذا السياق التي أيد الله بها عيسى (عليه السلام) هي:-

مُحَرَّمٌ - الكلام في المهد.

صَتْرٌ - يخلق من الطين طيراً فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله.

نَجْعَلُونَ - أنه يبرئ الأكمه، والأكمه قيل في معناه: إنه الذي يبصر نهاراً ولا يبصر ليلاً وقيل بالعكس وقيل: الأعشى وقيل: الأعمش وقيل: هو الذي يولد أعمى وهو لمُشَبِّه لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي. (١٤١)

رَبِّعَانِ - يبرئ الأبرص.

جَعَلُوا - يحيي الموتى بإذن الله. وقد ورد تكرار (بإذن الله) في الآية دفعاً لتوهم الألوهية، لأن إحياء الموتى ليس من جنس أفعال البشر.

(138) سورة المائدة، الآية 110.

(139) سورة آل عمران، الآية 49.

(140) سورة المائدة، الآية 114.

(141) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 365/1.

﴿الْأَنْبِيَاءُ﴾ - الإنبياء بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون، وذلك أنهم لما أحيا لهم الموتى طلبوا منه آية أخرى وقالوا: أخبرنا بما نأكل في بيوتنا وما ندخر للغد، فأخبرهم فقال: يا فلان أنت أكلت كذا وكذا، وأنت أكلت كذا وكذا وادخرت كذا وكذا؛ فذلك قوله "وأنبيئكم" الآية. (142)

﴿الزُّمَرُ﴾ - نزول المائدة.

فالذي جاء به عيسى (عليه السلام) كل ذلك آية من الله تحقق قوله وتصدق خبره أنه رسول من رب العالمين، يدعوهم إلى تقوى الله وطاعته، حيث قال في نهاية ذكر هذه الآيات مبيناً الهدف من الرسالة: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

ولنا أن نتساءل، ما الحكمة من كون آيات عيسى (عليه السلام) من هذا الجنس ؟

يجيب عن هذا الحافظ ابن كثير قائلاً: «قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى (عليه السلام) السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحَّار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار. وأما عيسى (عليه السلام) فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد؟ أو على مداواة الأكهم؟ والأبرص وبعثهم هو في قبره يهين إلى يوم التناد؟» (143).

ومع هذه الآيات الباهرة والبراهين القاهرة كيف كانت الاستجابة لعيسى (عليه السلام) ؟

(142) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 61/4.

(143) تفسير القرآن العظيم 365، 366/1.

بعد أن عاين اليهود من عيسى (عليه السلام) تلك المعجزات، ما كان جواب كثير منهم إلا أن قالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ . ويعود هذا إلى شدة عناد اليهود وجحودهم، ومن جملة الأسباب التي صدقهم عن اتباعه مع ما جاء به من الآيات البينات ما يلي:-

مُحَرَّرٌ - ادعاء أحبار اليهود وكهنتهم أنهم الصلة بين الله وبين الناس، وبدونهم لا تتم صلة العبد بربه، ولا المخلوق بخالقه، فجعلوا يصدرون للناس أحكاماً ويشرعون لها شرائع، ويزعمون أنها من عند الله، كل ذلك من أجل مصالحهم الشخصية، وهذا الصنف قد أخبر الله عنه بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾⁽¹⁴⁴⁾. فجاء عيسى (عليه السلام) يبطل هذه الدعوى.

صَتْرٌ - شغف اليهود بالمال وولعهم بجمعه، حتى صاروا عبيداً له، فماتت قلوبهم وفسدت عقيدتهم، وانحطت معنوياتهم وأخلاقهم، ودب الفساد في كل جانب من جوانب حياتهم، فجاء عيسى (عليه السلام) ينكر عليهم ذلك، ويحث على الزهادة في الدنيا.

رَبِّعٌ - أنكر طائفة منهم القيامة، واستبعدوا يوم الحشر.⁽¹⁴⁵⁾

(144) سورة البقرة، الآية 79.

(145) انظر: سعد صادق محمد، الأنبياء في القرآن ص 237-241. و د. أحمد شليبي، المسيحية، ص 46.

ولم يكتف اليهود بتكذيب الآيات، بل حاصروا الدعوة وحاربوها، لمخالفتها ما هم عليه من الفساد، فهي دعوة إلى الفضيلة وهم أهل رذيلة، وهي دعوة توحيد وهم أهل شرك، وهي دعوة للإيمان بعالم الغيب والروح وهم أناس ما ديون لا مكان للإيمان بعالم الغيب والروح عندهم.⁽¹⁴⁶⁾

اتخاذ الأنصار

لما لم تجد مع تلك الطائفة من اليهود هذه الآيات البينات، ووجد منهم الصد والإعراض، والكفر بالله سبحانه وتعالى، اتخذ عيسى (عليه السلام) وسيلة أخرى في دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك أن يكون له أعوان منهم، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه بقوله: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَا مُسْلِمُونَ. رَبَّنَا عَلَّمَنَا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾⁽¹⁴⁷⁾.

قال ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى ﴿ فلما أحس عيسى ﴾ أي استشعر منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال، قال: ﴿ قلني بظهورني إلى الله ﴾ —: أي من يتبعني إلى الله، وقال سفيان الثوري وغيره: أي من أنصاري مع الله، وقول مجاهد أقرب. والظاهر أنه أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله، كما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول في مواسم الحج قبل أن يهاجر "من رجل يؤويني حتى أبلغ كلام ربي فإن قرشنا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي" حتى وجد الأنصار فأووه ونصروه وهاجر إليهم فواسوه ومنعوه من الأسود والأحمر رضي الله عنهم وأرضاهم. وهكذا عيسى ابن مريم (عليه السلام) انتدب له طائفة من بني إسرائيل، فآمنوا به ووازره ونصروه واتبعوا للنور الذي أنزل معه، ولهذا قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿ قال الحواريون نحن أنصار الله لفلان الله واشهد بأننا مسلمون ربنا آمنة بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ والحواريون قيل: كانوا قَصَّارِينَ وقيل: سموا بذلك لبياض ثيابهم وقيل: صيادين. والصحيح أن الحواري

(146) انظر: مسد عود الغامدي، رسالة ما جستير، ميلاد عيسى عليه السلام عند اليهود والنصارى والمسلمين، ص70.

(147) سورة آل عمران، الآيتان 52، 53.

الناصر كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ندب للناس يوم الأحزاب فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير (رضي الله عنه) فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) "لكل نبي حواري وحواريي الزبير".⁽¹⁴⁸⁾ وأما أنصار عيسى (عليه السلام) فلم يأت في القرآن ولا السنة تعيينهم وتحديد أسمائهم، وقد اختلفت أناجيل النصارى في هذا التعيين.⁽¹⁴⁹⁾

وقال القرطبي (تَمْخَرُ رَجَبٌ بِحُفَّانٍ هـ): «وطلب النصر ليعتدي بها من قومه ويظهر الدعوة، عن الحسن ومجاهد. وهذه سنة الله في أنبيائه وأوليائه. وقد قال لوط: ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾ أي عشيرة وأصحاب ينصروني. قال الحواريون نحن أنصار الله ﴿أي أنصار نبيه ودينه﴾»⁽¹⁵⁰⁾.

وإذا تابعنا أحداث الدعوة بعد تلك الخطوة التي اتخذها عيسى (عليه السلام)، نجد من الآيات التي أخبرت بذلك أن اليهود لم يزدادوا بعد ذلك إلا جحوداً وعناداً، فقال عنهم المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾⁽¹⁵¹⁾. يعني كفار بني إسرائيل الذين أحس منهم الكفر. وذلك أن عيسى (عليه السلام) لما أخرج قومه وأمه من بين أظهرهم، عاد إليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة، فهموا بالفتك بعيسى (عليه السلام) وأرادوا به السوء والصلب حين تمأثروا عليه ووشولبه إلى هلك خلك الزمان، وكان كافراً، أن هنا رجلاً يضل الناس ويصددهم عن طاعة الملك، ويفسد الرعايا، ويفرق بين الأب وابنه، إلى غير ذلك مما تقلدوه في رقابهم ورموه به من الكذب، وأنه ولد زنية، حتى استثاروا غضب الملك، فبعث في طلبه من يأخذه ويصلبه وينكليه، فلما أحاطوا بمنزله وظنوا أنهم قد ظفروا به نجاه الله تعالى من بينهم، ورفع من رومنة خلك البيت إلى السماء، وألقى الله شبهه على رجل ممن كان عنده في المنزل، فلما دخل أولئك اعتقدوه في ظلمة الليل عيسى، فأخذوه وأهانوه وصلبوه ووضعوا على رأسه الشوك.

(148) تفسير القرآن العظيم 366/1.

(149) انظر: منيرة الحبيب، رسالة ما جستير، عيسى ابن مريم في ضوء الكتاب والسنة، ص 181-180.

(150) الجامع لأحكام القرآن 63/4.

(151) سورة آل عمران، الآية 54.

وكان هذا من مكر الله بهم فإنه نجى نبيه ورفعهم من بين أظهريهم، وتركيهم في ضلالهم يعمهون، يعتقدون أنهم قد ظفروا بطلبتهم وأسكن الله في قلوبهم قسوة وعناداً للحق ملازماً لهم، وأورثهم ذلة لا تفارقهم إلى يوم التناد.⁽¹⁵²⁾

السياحة في الأرض

السياحة في الأرض هي الانتقال من مكان إلى مكان، وكذلك كان عيسى (عليه السلام)، فإنه لم يستقر في مكان واحد، بل كان ينتقل من مكان إلى مكان يدعو الناس، ولذا قال بعض السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ ⁽¹⁵³⁾. أي: لكثرة سياحته، وقيل لمسحه الأرض أي سياحته فيها فراراً بدينه من الفتن في ذلك الزمان لشدة تكذيب اليهود وافترائهم عليه وعلى أمه ⁽¹⁵⁴⁾. وعند القرطبي، قيل: لأنه مسح الأرض، أي ذهب فيها فلم يستكن بكن. ⁽¹⁵⁵⁾

والدعوة إلى الله تحتاج من الداعية إلى الالتقاء بالمدعوين، وقد يتطلب الأمر من الداعية أن يذهب إليهم في بلدانهم وأماكنهم ليبلغهم إلى دعوة الله سبحانه — عندما تكون الدعوة جديدة على القوم لا يعرفون عنها شيئاً، ولذا فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما أيس من أهل مكة ذهب يدعو أهل الطائف، كما كان يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج ليجد من يقبل دعوة الله وينصرها حتى ينتقل إليه، وكان ذلك من نصيب أهل المدينة، عندما استجاب وفودهم إلى هذه الدعوة الجديدة التي كان من نتيجتها أن هاجر الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة وأكمل دعوته هناك. إضافة إلى ما كان يبعث به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الرسائل والرسول إلى أقوام آخرين. ⁽¹⁵⁶⁾

(152) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 63/4، 64. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم 366/1، 367.

(153) سورة آل عمران، الآية 45.

(154) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 364/1. وقصص الأنبياء، ص 667.

(155) الجامع لأحكام القرآن 57/4.

(156) انظر نصوص بعض رسائل النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الملوك وغيرهم عند ابن القيم في زاد المعاد 688/3 وما بعدها.

وكان عيسى (عليه السلام) كذلك يبعث بالرسول وهم الحواريون ليبلغوا الدعوة في أماكن مختلفة، وقد اشتهر عند أهل الكتاب تسمية هؤلاء الحواريين بالرسول.

وتذكيراً بما سبق من أن دعوة عيسى (عليه السلام) تكون في زمانين مختلفين، زمان مضى، وزمان قادم، فإن منهج السياحة في الأرض سيكون أيضاً في آخر الزمان كما كان في زمن دعوة بني إسرائيل، وتدل على ذلك الأخبار الواردة في ذكر نزول عيسى (عليه السلام)، فقد ورد في صحيح مسلم أن عيسى ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، وأنه يطلب المسيح الدجال حتى يدركه فيقتله بباب لد⁽¹⁵⁷⁾. وباب لد في فلسطين كما في مسند الإمام أحمد: «حتى يأتي فلسطين باب لد»⁽¹⁵⁸⁾.

ومما يدل على تنقلاته في آخر الزمان ما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) يحدث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء»⁽¹⁵⁹⁾ حاجاً أو معتمراً أو ليشينهما⁽¹⁶⁰⁾. دليل على مجيء عيسى ابن مريم إلى مكة، وإن كان للحج، فإن الدعاة إلى الله لا يعرفون للدعوة وطناً، بل يدعون إلى الله في كل مكان يحلون فيه، فكيف بأنبياء الله عليهم السلام؟!

إزالة آلة الباطل

قد يجد الداعية في مجتمع الدعوة أمراً من الباطل، يحتاج الداعية إلى إزالته وتخليص المدعوين منه، ويتمثل هذا في دعوة عيسى (عليه السلام)، فهو يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، كما دل عليه حديث نزوله في آخر الزمان، وملأ الحديث منه عند ذلك، في صحيح البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

(157) انظر الحديث الطويل الذي أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشرافها، 2937، حديث رقم 157.

الحموي في معجم البلد ان: لُد بالضم والتشديد قرية قرب بيت المقدس، من نواحي فلسطين، ببها ليدرك عيسى ابن مريم الدجال فيقتله. (معجم البلدان 15/5).

(158) المسند 75/6.

(159) قال الحافظ أبو بكر الحارثي: هو بين مكة والمدينة. (النووي، شرح صحيح مسلم 234/8).

(160) كتاب الحج، حديث رقم 1252.

وسلم): « والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»⁽¹⁶¹⁾.

قال ابن حجر: «قوله فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، أي يبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب حقيقة، ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه»⁽¹⁶²⁾.

وعقيدة الصليب من العقائد الأساسية التي يعتقدها النصارى إلى اليوم، وكان منشأ هذه العقيدة من إيمانهم بأن عيسى (عليه السلام) قُتل وصُلب، ولكن الله سبحانه وتعالى رد عليهم بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾⁽¹⁶³⁾. وهذا الاعتقاد الذي اعتقده النصارى يدل على ضعف عقولهم، فكيف يعتقدون صلبه وهم الذين يزعمون أنه الله أو ابن الله على اختلاف بينهم. وما أحسن ما قال الشاعر رداً عليهم في زعمهم:

أَعْبَادُ الْمَسِيحِ لَنَا سَوْالٌ نروم جوابه ممن وعاه

إذا صلب الإله بفعل عبد يهودي فما هذا الإله⁽¹⁶⁴⁾

وأول من اخترع لهم شارة الصليب هو الملك قسطنطين، زعم أنه رأى في السماء صورة صليب من ذهب، وملك يقول له: إن كنت تريد غلبة أعدائك فاجعل هذه الصورة علامة قدامك، فإنك غالب بها جميع أعدائك.⁽¹⁶⁵⁾

وأما ما يتعلق بقتل الخنزير، لأنه نجس محرم الأكل، على النصارى وغيرهم، فهو محرم على النصارى بالتوراة لأنهم مأمورون باتباعها، ولم يأت الإنجيل بنسخ خلك⁽¹⁶⁶⁾. فكان في قتل عيسى للخنزير في آخر الزمان فضح للنصارى بما بدلوا وغيرولمن لهم دينهم، مثل استحلالهم للحم الخنزير.

(161) الجامع الصحيح، كتاب البيوع، حديث رقم 2222.

(162) فتح الباري 493/6.

(163) سورة النساء، الآية 157.

(164) محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، ص 221.

(165) انظر: القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص 161.

(166) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، 210. وابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل 59/1.

قتال أعداء الله

كانت دعوة عيسى (عليه السلام) في زمنه لبني إسرائيل دعوة سلمية تقوم على
المواعظ والأمثال والزواجر، ولم يرد في النصوص الشرعية ما يدل على قتاله لأعدائه في
ذلك الزمان.

وأما في آخر الزمان عندما ينزل إلى الأرض فإنه يقاتل الأعداء وعلى رأسهم المسيح الدجال، فإنه يطلبه حتى يقتله بباب لُدٍّ، كما مر بنا الحديث الذي رواه مسلم⁽¹⁶⁷⁾. وجاء في صحيح ابن حبان عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «فينزل عيسى ابن مريم فإذا رآه عدو الله يذوب كما يذوب الملح، ولو تركوه لذاب حتى يهلك ولكنه يقتله الله بيده فيريهم دمه بحرته»⁽¹⁶⁸⁾.

وبقتل عيسى ابن مريم للمسيح الدجال يخلص الناس من فتنة عظيمة، لما في سنن ابن ماجه (تجويد) من حديث أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكان أكثر خطبته حديثاً حدثناه عن الدجال وحذرناه، فكان من قوله أن قال: «إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله آدم أعظم من فتنة الدجال، وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم»⁽¹⁶⁹⁾.

وفي صحيح مسلم من حديث عمران بن حصين (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): « ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال»⁽¹⁷⁰⁾.
قال النووي: أكبر فتنة وأعظم شوكة⁽¹⁷¹⁾.

(167) راجع ص 41 .

(168) صحيح ابن حبان صحيح/ ربيع أول صفر سنة رقم ربيع أول محرم شعبان ١٢٤٥ هـ . قال الشيخ شعيب الأبنؤوط: إسناده صحيح.

(169) السنن، كتاب الفتن، حديث رقم 4077.

(170) كتاب الفتن وأشرط الساعة، حديث 2946.

(171) صحيح مسلم بشرح النووي 87/18.

ولا يقتصر قتال عيسى (عليه السلام) على قتال الدجال فحسب، بل يقاتل اليهود والنصارى في ذلك الزمان، ولا يعقبهم إلا غيرهم، ولا يقبل منهم الجزية أيضاً.

ثانياً: الأسلوب

الأسلوب: الطريق والفن، يقال: هو على أسلوب من أساليب القوم: أي على طريق من طرقهم. ويقال: أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوعة.⁽¹⁷²⁾

وعلى أساس التعريف اللغوي يمكن تعريف أسلوب الدعوة بأنه الكيفية التي يتم بها تبليغ الدعوة إلى المدعوين، وإزالة العوائق⁽¹⁷³⁾.

وهناك ترابط بين الوسيلة والأسلوب، فإذا قلنا: إن الوسيلة هي الطريقة التي يتم بها التبليغ أو إزالة العوائق، فإن الأسلوب هو الفن، أو كيفية استخدام هذه الطريقة.⁽¹⁷⁴⁾ ومن الأساليب التي سلكها عيسى (عليه السلام) في دعوته، ما يلي:-

ضرب الأمثال

ضرب الأمثال أسلوب من أساليب الإيضاح والبيان في الدعوة، إن لم يكن أقولها في إبراز الحقائق المعقولة، في صورة الأمر المحسوس. والغرض من ضرب الأمثال تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيصير غير المحسوس مطابقاً للمحسوس، وذلك هو النهاية في الإيضاح. وضرب المثل هو حالة تشبيه تحدث في النفس حالة التفات بارعة، يلتفت بها المرء من الكلام الجديد إلى صورة المثل المأنوس⁽¹⁷⁵⁾.

(172) انظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص 248/1 ، مادة [سلب]. والفيومى، المصباح المنير، 304/1، مادة سلب. والمعجم الوسيط، مادة سلب 441/1.

(173) انظر: سعيد القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، ص 125

الدعوة إلى الله 215/1. ومحمد أبو الفتوح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص 46 فارس، أسس في الدعوة ووسائل نشرها، ص 80.

(174) انظر: الدكتور علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها، ص 139.

(175) انظر: علي محفوظ، هداية المرشدين، رحمه الله تعالى. والبهى الخولي، تذكرة الدعاة، رحمه الله تعالى. وعبد الوهاب بن لطف الديلمي، معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، رحمه الله تعالى.

قال إبراهيم النظام: « يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية »⁽¹⁷⁶⁾.

وفي أهمية ضرب الأمثال لتوضيح الأقوال يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): « الأمثال مصابيح الأقوال »⁽¹⁷⁷⁾.

وضرب الأمثال منهج سلكه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في دعوته كما في حديث أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: « مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة، طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمره طعمها طيب ولا ريح فيها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن، كمثل الحنظلة، طعمها مر ولا ريح لها »⁽¹⁷⁸⁾.

ولقد اشتهر ما روي من كلام عيسى (عليه السلام) بضرب الأمثال، ومن ذلك ما ورد عن الحارث الأشعري أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: « إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل يعملون بهن ————— »⁽¹⁷⁹⁾. ففيه نجد أن عيسى ابن مريم (عليه السلام) يضرب مثلاً لما يأمر به أو ينهى عنه، فمثلاً من يشرك بالله برجل اشترى عبداً من ماله ووضع يعمل في داره، فكان ذلك العبد يعمل ويؤدي إلى غير سيده. ومثل الصائم بمن معه صرة مسك تفوح ريحها، ومثل المتصدق بالأسير الذي يفتدي نفسه، ومثل الذاكر لله برجل طلبه العدو فاحرز نفسه في حصن حصين.

وفي موضع آخر يضرب عيسى (عليه السلام) لمن يعمل مثلاً، قال عبدالله بن المبارك أنبأنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد قال: قال عيسى: « اعملوا لله ولا تعملوا

(176) الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مخزن / بيروت.

(177) نثر الآليء من كلام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (مخطوط)، الورقة مخزن، الوجه مخزن.

(178) متفق عليه: أخرجه البخاري واللفظ له، الجامع الصحيح، كتاب فضائل القرآن، حديث رقم ١٠٠٠٠، لم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، حديث رقم ١٠٠٠٠.

(179) سبق الحديث وتخرجه ص 26، 28.

لبطونكم، انظروا إلى هذه الطير تغدو وتروح لا تحرث ولا تحصد، والله يرزقها، فإن قلتُم نحن أعظم بطوناً من الطير، فانظروا إلى هذه الأبقار من الوحوش والحمير، فلها تغدو وتروح لا تحرث ولا تحصد، والله يرزقها»⁽¹⁸⁰⁾.

ويمثل طالب الدنيا كشارب ماء البحر، فعن إبراهيم الحربي عن داود بن رشيد عن أبي عبد الله الصوفي قال قال عيسى (عليه السلام): «طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر، كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله»⁽¹⁸¹⁾.

كما مثّل علماء السوء بشجرة الدُّفلى⁽¹⁸²⁾ حيث يقول: «يا علماء السوء، جعلتم الدنيا على رؤسكم، والآخرة تحت أقدامكم، قولكم شفاء، وعملكم داء، ومثلكم مثل شجرة الدفلى، تعجب من رآها وتقتل من أكلها»⁽¹⁸³⁾.

الحكمة في القول

الحكمة: هي الكلام الذي يقل لفظه ويجل معناه⁽¹⁸⁴⁾. ويمكن القول بأنها عبارة موجزة المبني جليلة المعنى. والحكمة لها أثر كبير في الدعوة إلى الله، وذلك لجمال ألفاظها، وسمو معانيها، وسهولة حفظها وترديدها.

والكلام الموجز البليغ ذو المعنى الجلي هو صفة كلام الأنبياء عليهم السلام، تصف عائشة (رضي الله عنها) كلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فتقول: «كان يحدث حديثاً لو عدّه العاد لأحصاه»⁽¹⁸⁵⁾.

(180) ابن كثير، قصص الأنبياء، 654. وابن المبارك في الزهد، حديث رقم 848.

(181) ابن كثير قصص الأنبياء، 653.

(182) شجر مُرٌ حسن المنظر يكون في الأودية، وهي من السموم. (ابن منظور، لسان العرب 245، 246/11، مادة [دفل]).

(183) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 656. وأخرجه أبو نعيم بلفظ آخر في الحلية 279/6.

(184) إبراهيم أنيس ورفاقه، المعجم الوسيط، ص ٢٢٤١ تحت الدُّفلى.

(185) متفق عليه، أخرج البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، حديث رقم 3567. ومسلم، كتاب الزهد والرقاق، حديث رقم 2493. واللفظ لهما.

وفي رواية عنها قالت: « ما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصل يحفظه من جلس إليه»⁽¹⁸⁶⁾.

وكان كلام عيسى ابن مريم (عليه السلام) كذلك يجمع البلاغة والإيجاز والوضوح، ولو تأملنا ما حكى الله سبحانه عن عيسى من تلك الكلمات التي نطق بها في المهد حيث يقول: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾⁽¹⁸⁷⁾. فهذه الكلمات البليغة الموجزة جمعت معان عظيمة، ففيها بيان لحقيقة نفسه، وفيها بيان لمهمته وشريعته، وفيها بيان لشيء من أخلاقه وصفاته، فضلاً عن أنها رد على تلك التهمة الموجهة إلى أمه.

ومن أمثلة الحكمة قوله: «كما أنه لا يستطيع أحدكم أن يتخذ على موج البحر داراً، فلا يتخذ الدنيا قراراً»⁽¹⁸⁸⁾.

وقوله: «طوبى لعين نامت ولم تحدث نفسها بالمعصية، وانتبهت إلى غير إثم»⁽¹⁸⁹⁾.

وقوله: « طوبى للمتواضعين في الدنيا، هم أصحاب المنابر يوم القيامة. وطوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا، هم الذين يُورَثون الفردوس يوم القيامة. وطوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا، هم الذين ينظرون إلى الله عز وجل يوم القيامة»⁽¹⁹⁰⁾.

وقوله: « يا معشر الحواريين اجعلوا كنوزكم في السماء، فإن قلب الرجل حيث كنزه»⁽¹⁹¹⁾.

(186) أخرجه الترمذي، السنن، كتاب المناقب، حديث رقم 3639. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

(187) سورة مريم، الآيات 30-33.

(188) أخرجه الإمام أحمد في الزهد ص76. وذكره ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 653

حكم ومواعظ عيسى ابن مريم عليه السلام، ص 26.

(189) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 653.

(190) أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع، ص154.

(191) المرجع السابق، 655.

الترغيب والترهيب

الترغيب من رغب، والرغبة في الشيء هي الحرص على الشيء والطمع فيه⁽¹⁹²⁾.
والقصد بالترغيب في مجال الدعوة إلى الله هو ما يشوق للدعوة إلى الاستجابة وقبول الحق⁽¹⁹³⁾. ويمكن القول بأن الترغيب وعد يصحبه تحبيب بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة، مؤكدة، خيرة، مقابل القيام بعمل صالح⁽¹⁹⁴⁾.
والترهيب: من رهب أي خاف⁽¹⁹⁵⁾، وهو التخويف من حصول مضرة، أو الحرمان من منفعة، دنيوية أو أخروية، عاجلة أو آجلة.

فالتريغيب والترهيب أسلوب دعوي يتجاوب مع فطرة الإنسان، من حيث رغبته في الخير، ونفورها من الشر ورغبته في السلامة من الضر، في العاجل والآجل، وذلك بتهديدها وتخويفها من حصول ذلك، لتبتعد عن كل ما يكون سبباً في حصول الشر، أو الحرمان من الخير.

وفي مجال الترغيب قالت امرأة ليعسى (عليه السلام): طوبى لحجر حملك ولثدي أَرْضِعْكَ فقال: «طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبعه».⁽¹⁹⁶⁾

وقوله: « طوی لمن یکی من ذکر خطیئته و حفظ لسانه و وسعه بیته»⁽¹⁹⁷⁾.

وقوله: « طوبى لعين نامت ولم تحدث نفسها بالمعصية وانتهت إلى غير إثم »⁽¹⁹⁸⁾.

وفي مجال التهيب نجد قول عيسى (عليه السلام) كما أخبر عنه للمولى سبحانه بقوله: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابْنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (199).

(192) ابن منظور، لسان العرب 422/1، مادة [رغب].

(193) عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، ص 423.

(194) انظر: عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 257.

(195) ابن منظور، لسان العرب مُحَرَّرٌ / جَزَائِلُ رَّبِّعٍ وَلَدِ رَّبِّعٍ، مادة [رهب].

(196) ابن كثير، *قصص الأنبياء*، ص 653.

(197) المرجع السابق، الموضع نفسه. وابن أبي الدنيا، كتاب الصمت وآداب اللسان، حديث رقم 15.

(198) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 653.

الدعوة بالموعظة

الْوَعْظُ وَالْعِظَةُ وَالْمَوْعِظَةُ: النصيح والتذكير بالعواقب، وقال ابن سيده: نتذكرتك الإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب.⁽²⁰⁰⁾

ونجد في دعوة عيسى (عليه السلام) موعظته لقومه بتقوى الله سبحانه وتعالى، وذلك حين طلبوا منه أن ينزل عليهم مائدة من السماء، كما أخبر بذلك المولى سبحانه وتعالى قائلًا: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَ نَعْلَمَ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾⁽²⁰¹⁾. قال الطبري: «وأما قوله: ﴿قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ فإنه يعني: قال عيسى للحواريين القائلين له: ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾ راقبوا الله أيها القوم، وخافوا أن ينزل بكم من الله عقوبة على قولكم هذا، فإن الله لا يعجزه شيء أراد، وفي شككم في قدرة الله على إنزال مائدة من السماء كفر به، فاتقوا الله أن ينزل بكم نقمته إن كنتم مؤمنين! يقول: إن كنتم مصدقي على ما أتوعدكم به من عقوبة الله إياكم على قولكم: ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾»⁽²⁰²⁾.

(199) سورة المائدة، الآية 72.

(200) ابن سيده، المخصص، السفر الثالث عشر، ص 95. وابن منظور، لسان العرب 466/7، مادة [وعظ].

(201) سورة المائدة، الآيتان 112، 113.

(202) جامع البيان 131/7.

الخاتمة

بعد استعراض دعوة عيسى (عليه السلام) في الكتاب والسنة وجدنا ما تميزت به تلك الدعوة النبوية من مزايا عن بقية دعوة الأنبياء، فهو النبي الذي خلق من غير أب، مما جعل النصارى يقولون فيه أنه ابن الله، وهو النبي الذي نطق بالدعوة وخاطب قومه وهو في المهدي، وهو النبي الوحيد الذي لم يميت بل رفعه الله إليه حياً بروحه وبدنه، وسينزل في آخر الزمان بروحه وبدنه.

ودعوة عيسى (عليه السلام) الدعوة الوحيدة التي يدعو فيها للنبي في زمانين مختلفين، وهو الزمان الذي بعث فيه (عليه السلام) وتكون دعوته في هذه الفترة قبلية لإسرائيل، وأما الفترة الثانية التي يدعو فيها فهي آخر الزمان حين ينزله الله سبحانه وتعالى، وتكون دعوته في هذه الفترة لأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) ويحكم بشريعته دون أن ينسخ منها شيئاً، وينزوله في آخر الزمان يقتل المسيح الدجال ويخلص الناس من أعظم فتنه تمر على بني آدم.

ودعوة عيسى (عليه السلام) هي الدعوة التي يزعم آلاف الملايين من البشر في هذا الزمان أنهم أتباعها، وقد كذبوا في ذلك، لأنهم اتبعوا نصرانية محرفة مبدلة، فلم يكن في دعوة عيسى ابن مريم (عليه السلام) تثليث ولا صلب ولا فداء، وهذه الأمور من أصول عقائد النصارى اليوم، التي ابتدعها لهم المحرفون المبطلون.

حتى من زعم أنه اتبع النصرانية الحقة التي كان عليها عيسى (عليه السلام) فليس له ذلك؛ لأنها نسخت بشريعة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وقد حكم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على اليهودي والنصراني الذي لا يؤمن به أنه من أصحاب النار حين قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»⁽²⁰³⁾.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

(203) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم 153.

قائمة مراجع البحث

- 1- الأجوبة الفاخرة، القرافي، ط1 بيروت، دار الكتب العلمية، 406هـ.
- 2- الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان ، ترتيب علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط1 (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1412هـ).
- 3- أسس في الدعوة ووسائل نشرها، محمد عبد القادر أبو فارس، ط1 (دار الفرقان، الأردن، 1412هـ).
- 4- أشراف الساعة، يوسف الوابل، ط12 (دار ابن الجوزي، الرياض، 1420هـ).
- 5- الإصابة في تمييز الصحابة ، ملبن حجر، طمختر (مطبعة السعادة، مصر، شَعْبَانُ مَخْرُوجُ رَجَبِ أَوَّلِ مَخْرُوجُ هـ).
- 6- أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، عبد الرحمن للنحلاوي، ط1 (دار الفكر، دمشق، 1979).
- 7- أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ط3 (دار عمر بن الخطاب، الإسكندرية).
- 8- إغاثة اللهفان، ابن القيم، تحقيق: محمد عفيفي، ط2 (المكتب الإسلامي، بيروت، 1409هـ).
- 9- الأنبياء في القرآن، سعد صادق محمد، ط1 (دار اللواء، الرياض، 1402هـ).
- شَوَّالُ مَخْرُوجُ - تذكرة الدعاة ، للبهى الخولي، طمختر (مكتبة للفلاح، الكويت، رَمَضَانَ رَمَضَانَ رَجَبِ أَوَّلِ مَخْرُوجُ هـ).
- 11- التصريح بما تواتر في نزول المسيح ، الكشميري، تحقيق ومراجعة وتعليق: عبدالفتاح أبو غدة. (مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1385هـ).
- 12- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ط1 (دار الفكر، 1400هـ).
- 13- التواضع والحمول ، ابن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق لطفي محمد الصغير (دار الاعتصام، القاهرة).
- 14- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي، (نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، 1410هـ).
- 15- جامع البيان، الطبري، ط2 (مصطفى الحلبي، مصر، 1373هـ).

- 16- الجامع الصحيح، البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، طمَحَرَّة (المطبعة السلفية، القاهرة، شَوَّالٌ رَّبِيعُ الثَّانِي مَحَرَّرَهُ).
- 17- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (دار الكتب العلمية، بيروت، رَّبِيعُ الثَّانِي مَحَرَّرَهُ رَّبِيعُ الثَّانِي مَحَرَّرَهُ هـ).
- 18- حكم ومواعظ عيسى ابن مريم (عليه السلام)، طارق الطنطاوي، (مكتبة لبنان، سيناء، القاهرة، 1412هـ).
- 19- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد علي القحطاني، ط2 (1413هـ).
- 20- حلية الأولياء، أبو نعيم، ط3 (دار الكتاب العربي، بيروت، 1400هـ).
- 21- زاد المسير، ابن الجوزي، طمَحَرَّة (المكتب الإسلامي).
- 22- زاد المعاد، ابن القيم، طرَبَعُ الثَّانِي (مؤسسة الرسالة، بيروت، صَفَرُ الثَّانِي رَّبِيعُ الثَّانِي مَحَرَّرَهُ هـ).
- 23- الزهد، ابن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، (مؤسسة الرسالة، بيروت).
- 24- سنن أبي داود، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، طمَحَرَّة (دار الحديث، بيروت، شَعْبَانُ رَّبِيعُ الثَّانِي مَحَرَّرَهُ هـ).
- 25- سنن ابن ماجه، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، (المكتبة الإسلامية، استانبول).
- 26- سنن الترمذي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، نشر (دار إحياء التراث العربي).
- 27- سنن الدارمي، مرا جعة: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع (دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ).
- 28- شرح صحيح مسلم، النووي، طمَحَرَّة (دار إحياء التراث العربي، بيروت، صَفَرُ رَمَضَانَ رَّبِيعُ الثَّانِي مَحَرَّرَهُ هـ).
- 29- الصحاح، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، طرَبَعُ الثَّانِي (دار العلم للملايين، بيروت، رَّبِيعُ الثَّانِي شَوَّالٌ رَّبِيعُ الثَّانِي مَحَرَّرَهُ هـ).
- 30- صحيح مسلم، (رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، شَوَّالٌ رَّبِيعُ الثَّانِي مَحَرَّرَهُ هـ).

- 31- عيسى ابن مريم في ضوء الكتاب والسنة ، منيرة الحبيب، رسالة ماجستير، كلية الآداب للبنات، عام 1407هـ.
- 32- فتح الباري، ابن حجر، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح وتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، نشر(رثا) سة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض).
- 33- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمن عميرة، طمخمة (شركة عكاظ، صقر شمس للنشر المطبعة).
- 34- فضائل الصحابة، الإمام أحمد، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، طمخمة (دار العلم، جدة، ربيع أول سنة 1407هـ).
- 35- فقه الدعوة إلى الله ، علي عبد الحليم محمود، ط3 (دار الوفاء، المنصورة، 1412هـ).
- 36- القاموس المحيط، الفيروز أبادي، (دار الفكر، بيروت، شتاء سنة 1407هـ).
- 37- قصص الأنبياء، ابن كثير، (دار المعرفة، بيروت).
- 38- كتاب الصمت وآداب اللسان، ابن أبي الدنيا، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، ط1 (دار العرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ).
- لسان العرب، ابن منظور، (دار صادر، بيروت).
- جمع الأمثال ، الميداني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر).
- 41- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الهيثمي، (دار الكتب العلمية، بيروت، شتاء سنة 1407هـ).
- 42- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ولبنه محمد، طمخمة (شتاء سنة 1407هـ).
- 43- مختار الصحاح، الرازي، ط1 (دار الكتاب العربي، بيروت، 1979م).
- 44- المخصص، ابن سيده، (دار الفكر، بيروت، 1398هـ).

- 45- المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ط 1 (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1412هـ).
- 46- المستدرك على الصحيحين، الحاكم، (دار المعرفة، بيروت).
- 47- مسند أبي داود الطيالسي، ط 1 (حيدر آباد، 1321هـ).
- 48- مسند أبي يعلى، تحقيق: الشيخ حسين سليم أسد، ط 1 (دار للمأمون للتراث، دمشق، 1405هـ).
- 49- مسند الإمام أحمد، ط 1 (المكتب الإسلامي، بيروت، 1405هـ).
- وكذلك المسند بتحقيق أحمد شاكر، ط 1 (دار المعارف، مصر، 1405هـ).
- 50- المسيح يعود إلى الأرض ثانية، محمود الديك، ط 1 (الشركة القابضة لمجموعة الحبتور، دبي، 1417هـ).
- 51- المسيحية، أحمد شلبي، ط 10 (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1993).
- 52- المصباح المنير، الفيومي، (مصطفى البابي الحلبي، مصر).
- معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ، عبد الوهاب بن لطف اللدليمي، ط 1 (دار المجتمع، جدة، 1405هـ).
- 54- معجم البلدان، الحموي، ط 1 (دار الفكر، بيروت، 1405هـ).
- 55- معجم الكبير، الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط 1 (الدار العربية للطباعة).
- 56- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، ترتيب وتنظيم لفيف من المستشرقين، ونشر د. ا. ي. ونسك، (مكتبة بريل، ليدن، 1936).
- معجم الوسيط، إبراهيم أنيس ورفاقه، الطبعة الثانية.
- 58- الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، نشر (دار الفكر).
- 59- مناهج الدعوة وأساليبها، علي جريشة، ط 1 (دار الوفاء، المنصورة، 1407هـ).
- 60- موطأ الإمام مالك، ط 6 (دار النفائس، بيروت، 1402).

- 61- ميلاد عيسى (عليه السلام) عند اليهود والنصارى والمسلمين، مسعود بن سعد الغامدي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين بالرياض، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، عام 1405/1406هـ.
- 62- النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام. أحمد عبد الوهاب، ط2 (مكتبة وهبه، القاهرة، 1413هـ).
- 63- النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني، ط1 (عالم الكتب، بيروت، 1405هـ).
- رَبِّكَ تَعَالَى - نشر الآليء من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه (مخطوط) مكتبة السليمانية، استانبول، مخطوط رقم مَحَرَّم رَجَبِ رَّبِّكَ تَعَالَى، تحت فهرس (أسعد أفندي).
- 65- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ط1 (درا إحياء الكتب العربية، 1383هـ).
- 66- هداية الحيارى، ابن القيم، تحقيق: الدكتور محمد أحمد الحاج، ط1 (دار القلم، دمشق، 1416هـ).
- رَبِّكَ تَعَالَى - هداية المرشدين ، علي محفوظ، ط1 (دار الاعتصام، مَحَرَّم رَجَبِ رَّبِّكَ تَعَالَى 1417هـ).
- 68- اليهود في السنة المطهرة، عبد الله بن ناصر الشقاري، ط1 (دار طيبة، الرياض 1417هـ).

محتويات البحث

تقديم

مُحَرَّرٌ

المبحث الأول : الداعي عيسى ابن مريم (عليه السلام)

اصطفاء الله لأم عيسى وآل عمران

رَبِّعُ أُولَئِكَ

اسمه ونسبه

رَبِّعُ ثَمَانٍ

ولادته

جَنَّاتُ الْجَنَّاتِ

صفات عيسى (عليه السلام)

شَعْبَانُ

الصفات الخلقية

رَمَضَانُ

الصفات الخلقية

مُحَرَّرٌ مُحَرَّرٌ

رفعه إلى السماء

رَبِّعُ ثَمَانٍ مُحَرَّرٌ

نزوله في آخر الزمان

جَنَّاتُ الْجَنَّاتِ مُحَرَّرٌ

الحكمة من نزوله

رَبِّعُ مُحَرَّرٌ

مدة بقلته في الأرض بعد نزوله

شَعْبَانُ مُحَرَّرٌ

المبحث الثاني : المدعو

جَنَّاتُ الْجَنَّاتِ

الصف الأول: بنو إسرائيل

رَمَضَانَ مُحَرَّمًا

الصف الثاني : أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) آخر الزمان

رَبِّعُ أَوَّلُ صَفَرٍ

المبحث الثالث: الموضوع

العقيدة

حُجَّاتُ أَوَّلُ صَفَرٍ

الشريعة

شَعْبَانَ صَفَرٍ

الآداب والأخلاق

شَوَّالٍ رَبِّعُ أَوَّلٍ

المبحث الرابع : الوسيلة والأسلوب

أولاً : الوسيلة

رَبِّعُ أَوَّلُ رَبِّعُ أَوَّلٍ

للدعوة بالقدوة

رَبِّعُ أَوَّلُ رَبِّعُ أَوَّلٍ

للدعوة بالدليل والبرهان

رَبِّعُ أَوَّلُ رَبِّعُ أَوَّلٍ

لتخاذ الأنصار

شَعْبَان رَجَبُ أَوَّلُ

السياحة في الأرض

مَسَوَّلُ رَجَبِ ثَانٍ

إنزلة البطل

مُحَرَّمُ رَجَبِ ثَانٍ

قتال أعداء الله

رَجَبُ أَوَّلُ رَجَبِ ثَانٍ

ثانياً : الأسلوب

رَجَبِ ثَانٍ رَجَبِ ثَانٍ

ضرب الأفتال

رَجَبِ ثَانٍ رَجَبِ ثَانٍ

الحكمة في القول

جَمَادَى رَجَبِ ثَانٍ

الترغيب والترهيب

رَجَبِ رَجَبِ ثَانٍ

للدعوة بالموعظة

رَمَضَانَ رَجَبِ ثَانٍ

الخلقة

سَوَالِ الْجَوَابِ

قائمة مراجع البحث

مَحَرَّرُ الْجَوَابِ

شَعْبَانُ الْجَوَابِ